

السيمولوجيا السوسيرية بين الدروس

في اللسانيات العامة والبحث حول الخرافة⁽¹⁾

ترجمة: أ.د. رشيد بن مالك**

أ.د. ميشيل أريفيه*

Rachid.benmalek@yahoo.com

ملخص:

يتأرجح سوسير بين وجهتي نظر متعارضتين: تارة يتم تقديم العلامة اللسانية كموضوع في غاية الخصوصية يثبط عزيمة القيام بأي مقارنة، وتارة أخرى يتم وضعها في نفس صعيد الموضوعات السيمولوجية الأخرى، لا سيما شخصية الخرافة. ونسعى في هذه المقالة إلى تحديد السمات المشتركة والاختلافات بين العلامة اللسانية والشخصية الخرافية، الموصوفتين -على التوالي- بـ"الكائنات الفارغة في حد ذاتها"، و"الكائنات العديمة الوجود".

الكلمات المفتاحية: سيمولوجيا؛ لسانيات؛ خرافة؛ رمز؛ علامة؛ شخصية.

Saussure's Semiology among General Linguistic

* أكاديمي فرنسي.

** أستاذ التعليم العالي - قسم علم الاجتماع - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر.

Lessons and Searching about the Myth

Prof. Rachid Ben Malek**

Prof. Michel Arrive*

Rachid.benmalek@yahoo.com

Abstract:

Though semiology was of the most attention of Saussure, we find unexplained disorder in its position of the general linguistic lessons and the position that has been specified for it on searching of a myth. Saussure had two different points of view; in one hand, the linguistic sign get introduced in a very careful way that pulls down the efforts of making any comparison. On the other hand, it used to be put on the same level of other semiology, especially myth character. In this research paper, we try to decide the common and different features between the linguistic sign and myth character that are described as "self-Empty beings" and "not existed beings".

Key Words: Semiology, Linguistics, Myth, Symbol, Sign, Character.

مقدمة المترجم:

تعتبر هذه المساهمة فرصة مواتية لترجمة نص أحد السيميائيين البارزين في المشهد العلمي الأوروبي، وتيسير قراءته؛ على الرغم من أنه يعالج مسائل أثارها سوسير منذ ما يزيد عن أكثر من قرن. وهذا الاختيار الذي يندرج ضمن استراتيجية علمية تسعى إلى التأسيس لراهن البحث السيميائي المعاصر، وإدراك وإليات اشتغاله صادر عن قناعتنا بضرورة الوقوف عند النصوص التي تعد حاضنة علمية لكل النظريات الجديدة التي بلورتها السيميائيات المعاصرة؛ ما يعني أن السبيل الوحيد لفهم الإنجازات السيميائية الراهنة واستيعابها يرتهن في وجوده إلى الأهمية الخاصة التي يتعين على الباحث العربي إيلاءها للنصوص التأسيسية. إن الصعوبة الكبيرة التي يلقاها القارئ العربي في استشعار النص

* French Academic.

** Professor of Higher Education - Department of Sociology - Faculty of Humanities and Social Sciences - Abi Bakr Belkaid University - Tlemcen - Algeria.

السيمياثي يمكن أن نعزوها إلى هذه الحلقات المفقودة، ليس فقط في البحوث العربية حيث أثرت تأثيراً سلبياً في تلقي المعرفة السيمياثية، وفي الضبابية التي أضحت يتسم بها المشهد السيمياثي العربي، ولكن في الدراسات الأوروبية، ولكن بدرجات محدودة جداً بعد الكشف عن البحث حول الخرافة لفرديناند دي سوسير عام 1957، وصدوره في طبعته الناقصة في سنة 1986، كما أشار إلى ذلك ميشال أريفيه في بداية دراسته. ومع ذلك، ونظراً لتداول البحث حول الخرافة في دوائر مغلقة؛ فإن تأثيره لم يصل إلى درجة مراجعة بعض المفاهيم النظرية في إطار سيمياثيات مدرسة باريس والفصل فيها، أو على أقل تقدير إعادة قراءة المشروع السيميولوجي السوسيري وفق هذه المعطيات الجديدة. لكل هذه الاعتبارات، لم يُولَ غريماس ولا بارث دراسة سوسير الأهمية اللازمة؛ لإدراجها ضمن اهتماماتهم البحثية؛ لمراجعة طبيعة العلاقات التي يمكن أن تقوم بين اللسانيات والسيميولوجيا، كما ألمح إلى ذلك أريفيه.

الترجمة الكاملة للنص:

لأنني المساهمة في كتابة تاريخ السيميولوجيا، ولا السيمياثيات لخصوصية موضوعي التي تحول دون ذلك، وتمنعي بصورة مضاعفة. إن الدور المؤسس لـ د.ل.ع⁽²⁾ في تاريخ المادتين التوأمتين موصوف الآن في الأساس وصفاً جيداً. بعد المناقشة التي دارت بين غريماس Greimas وبارث Barthes بصورة مستفيضة إلى حد ما بشأن ما يجب أن يديننا به لـ د.ل.ع، ظهر العديد من الأعمال التي حددت موقعها من هذا الأمر (ينظر: آخر إصدار: Arrivé 200a et b). وبخصوص البحث حول الخرافة⁽³⁾، فإن الوقائع مختلفة تماماً. من جهة؛ لأن التعليم السيميولوجي الصرف في هذا البحث غير مكتمل، ومختزل إلى بضع عشرات من الصفحات المتناثرة التي بقيت على الدوام تقريباً في شكل مسودة. من الضروري استخراجها من المقالات المطولة المقترنة بالتاريخ الحديث والتأملات الأسماثية المجردة؛ لأن هذه العناصر مفتقدة إلى العلاقات مع المشروع السيميولوجي، بل لصعوبة إدراكها -وسأعود إلى هذه النقطة- دفعة واحدة. وفضلاً عن ذلك، ينبغي أن نذكر أنه إذا كانت الـ

د.ل.ع في المتناول تحت شكلها المسمى "موحدا" منذ 1916، فإن البحث حول الخرافة لم يتم الكشف عنه سوى بصورة تدريجية انطلاقاً من 1957. وقد تعين انتظار 1986 لنقرأ طبعته الناقصة، وغير المكتملة من الناحية الفيلولوجية، وعلى أي حال، ظلت في دوائر مغلقة جداً كما أشرت إلى ذلك. وحتى طبيعة العمل، والتأخير في الكشف عنه يفسران تأثيره الذي ظل محدوداً من حيث التأسيس للسيميائيات وتطويرها. وفي اقتصار استشهادنا أعلاه على الاسمين، أعتقد أن غريماس وبارث -وهما على علم بوجود هذا البحث- لم يأخذاه بعين الاعتبار بشكل كبير في أعمالهما.

لكل هذا، لن أقوم بعمل تاريخي. ما عساي أن أفعل إذن؟ عمل هو في آن واحد ضروري، وصعب، وطموح: في اتخاذنا مثال سوسير نقطة انطلاق، فسيتم التأمل في مسألة العلاقات بين اللسانيات والسيميولوجيا. لست بكل تأكيد أول متأمل في المسائل التي أثارها سوسير. منذ عهد قريب، عاد كتاب نورماند Normand (2000)، وكتاب جوهان فيهر Johannes Fehr اللذين تحتل المشكلة فيهما أهمية مركزية، إلى قضية نوقشت بالفعل من باحثين آخرين يقف على رأسهم داركو سيلفيو أفال d'Arco Silvio Avalle (1973)، وريدولف إنجلر Rudolf Engler (1974-1975 و1980)، وكيم Kim (1993)، وفرنسيس جاندون Francis Gandon (2002) الذي يتهياً هو أيضاً للكشف عن مواقفه من المسألة.

وإذا تدخلت بعدهم، فلاعتقادي بأن كل شيء لم يُقَل، سواء حول مسألة الأصول، أو المفهوم المثير والإشكالي للـ"كينونة العديمة الوجود"، كما سنرى ذلك، إن سوسير في بحثه هو الذي سرب الوضع المفارق إلى "العلامة في معناها الفلسفي".

قبل ولوج المسألة النظرية، من الضروري ضبط بعض النقاط المعلمية الكرونولوجية. يتعلق الأمر في البداية بتحديد المكانة التي تحتلها السيميولوجيا في تأملات سوسير المشهورة

بمنحائها اللساني، ثم تعيين مكانة البحث حول الخرافة -المعروف بتوجهه السيميولوجي- في مسار سوسير.

في النسخة الموحدة لد.ل.ع، تبدو السيميولوجيا محددة بما يكفي من حيث الكمية. لا يتضمن الفهرست سوى مدخلين لتسمية سيميولوجيا. يحيل الأول على المقطع الشهير من الصفحة 33 إلى 35، حيث تُبَيِّنُ السيميولوجيا، وطُرِحَتْ بطريقة صعبة للغاية -قال في الصفحة 34: "ندور في حلقة": نزهة مألوفة لدى سوسير- مسألة علاقاتها باللسانيات. يحيل المدخل الثاني للفهرست على الصفحة 100، حيث أُثِرَتْ مسألة الانتماء إلى سيميولوجيا أنظمة "علامات طبيعية بالكامل". عبارة من الناحية السوسيرية أو كسيمورية (تجمع بين مفردتين يكون معناهما: متباعدا/ المترجم) لا تظهر إلا في نصه الشائع (د.ل.ع/ المترجم)، وليس في المصادر المخطوطة. يشير النص إلى أن هذا الانتماء قد يكون ثانويا فقط. وبعد صدور الحكم مباشرة، تم تعديله تعديلا مناسبا في المصادر المخطوطة:

يمكن أن تصبح اللسانيات النموذج العام لأي سيميولوجيا، على الرغم من أن اللسان ليس سوى نظاما خاصا (101: CLG).

في هذه النقطة، تشدد المصادر المخطوطة على الطبيعة العشوائية لاختيار اللسانيات ك"نموذج عام". ولكن لا وجود لأي نظام آخر يُزعم أنه المرشح البديل لوظيفة النموذج العام. غير أن السيميولوجيا الواردة غالبا تحت أنواع الصفة سيميولوجي لم ينشر إليها الفهرست في نقاط عديدة من الد.ل.ع. هكذا، تطرح في ص 111 -على ذكر الإسبيرانتو⁽⁴⁾ وتحولاته الممكنة- مسألة العلامة في الزمن، فالعلامة نتذكرها جيدا، تتأثر في آن واحد، حسب عنوان فصل الطبعة الموحدة، ب"اللاتحول والتحول". وستكون هذه المسألة، كما سنرى ذلك، مركزية في بناء العلاقات بين اللسانيات والسيميولوجيا:

فاستمرارية العلامة في الزمن، المقترنة بتغيرها فيه، تمثل مبدأ من السيميولوجيا

العامة. (تتطابق المصادر المخطوطة إلى حد ما مع النص الموحد).

في الصفحة 149، طرحت مسألة أساسية لا يسعنا إلا أن نلامسها اليوم، وترتبط بالاختلاف الممكن من حيث الوضع بين وحدات اللسان ووحدات الأنظمة السيميولوجية الأخرى. تطرقت إلى هذه المسألة الجوهرية في أريفيه 1998.

إن المصادر المخطوطة المشتملة أيضا، كما هو معلوم، على التأملات الخارجة عن الدروس (د.ل.ع/ المترجم) الممتدة من 1907 إلى 1911 تعقد مكانة أكثر أهمية⁽⁵⁾ للسيميولوجيا. أشير إلى بعض هذه المقاطع قبل أن أستشهد منها بما يبدو لي بالغ الأهمية: سوسير 1989:

I-147 (N12, n°1086) ; I-148-149(N12, n°1088-1091) ; I-273(N12,n°1950) ; 1990 :II47.

فالمقطع الأكثر تميزا هو من دون شك الآتي:

لا يمكن رؤية طبيعة العلامة، إذن، إلا في اللسان، وتتألف هذه الطبيعة من أشياء قلما تتم دراستها. ولهذا السبب لا نرى للوهلة الأولى الضرورة أو الفائدة الخاصة من علم سيميولوجي؛ لما يتعلق الأمر باللسان من وجهات نظر عامة، فلسفية؛ ولما ندرس شيئا آخر مع⁽⁶⁾ اللسان [Saussure 1989 I-51(II R21, n°313-314)]: ينظر أيضا: د.ل.ع حيث يستبعد هذا الموقف].

نلاحظ بسهولة التناقض الذي ينشأ بين الموقف المعبر عنه أعلاه، والموقف المثبت هنا: تتحدد اللسانيات في المقطع الأول كنموذج عام لأي سيميولوجيا ممكنة، وفي الثاني، تقدم العلامة اللسانية على أنها محددة تحديدا تاما، بحيث لا يمكن لأي سيميولوجيا ممكنة أن

تتكيف معها. ونصادف هذا التناقض -ربما يكون بمقدورنا تفسيره- عندما نقوم بإشراك الوحدات السيميولوجية للخرافة.

ولكن السيميولوجيا تبرز في اهتمامات سوسير اللسانية قبل الدروس الثلاثة التي ألقاها بجونيف Genève بفترة طويلة. ويلاحظ إنجلر (4 : 1980)، ثم فيهر (4 : 110n : 2000) أن السيميولوجيا ظهرت عام 1894 لأول مرة في مشروع مقال خاص بويثناي Withney. وخصوصيتها في هذا النص تكمن في إدراكها ليس معنى "علم العلامات" بل مفهوم "اللغة-الموضوع": لما يلاحظ "الطبيعة المعقدة للغاية للسيميولوجيا الخاصة المسماة لغة" (Saussure 197-1 : 1989)، فإن سوسير -يكون قد- طرح خصوصية اللغة من بين الموضوعات الممكنة الأخرى للسيميولوجيا. ومن المعلوم، من جهة أخرى، أن سوسير عرض السيميولوجيا -هذه المرة بمعنى "علم العلامات"- بطريقة صريحة إلى حد ما ومقنعة بما فيه الكفاية على زميله أدريان نافيل Adrien Naville حتى يبوئها مكانة مركزية، عام 1901، في تصنيفه الجديد للعلوم (104 : 1901-1991)⁽⁷⁾.

أما الاهتمام الذي أولاه سوسير للخرافة -ولبعض الخطابات من نوع شبيه مثلا بالميثولوجيا- فهو أيضا قديم جدا. أفاد أ. كونييه A. Cuny -بعد ما يقرب من ستين عامًا، وتحديدا في سنة 1937- أن الشاب سوسير، المتأثر بإخفاقه في المذكرة بألمانيا، مال منذ 1880 إلى دراسة الملحمة الجيرمانية. وفي تاريخ قريب نسبيا، عام 1894، نجد توسعا مذهلا في أسماء ألّهة الميثولوجيا الهندية واليونانية (Saussure 1990: II-25) تم إدراجه ضمن مشروع مقال حول ويثناي. وبطريقة تعلن عن التأمّلات الأسمائية في البحث حول الخرافة، تطلع سوسير إلى فصل اسم الألّهة عن "الموضوع الحساس"، ومن منطلقات قلب الصياغة التقليدية numen،

nomen- "الألوهية، تحدد باسمها"- شدد سوسير على أن مصير nomen يرتبط وبطريقة حاسمة، من ثانية إلى ثانية، بمأل numen.

بالنسبة إلى سوسير، الاسم هو الألوهية على نحو ما هي مدرجة في نظام العلامات الذي تتشكل منه أيضًا الميثولوجيا. وتنطوي تغيرات اسمها على تحولات تناسبية. وإزاء خطر الظهور بمظهر تُرهي مفرط، أشدد على الدقة الزمنية المدهشة "من ثانية إلى ثانية". إن التنامي في زمن nomen هو في حد ذاته مبهّر. ما هو الزمن الذي نتحدث عنه هنا؟ هل هو الذي يغير على امتداد التاريخ أسماء الآلهة، ولكنه لا يقاس بـ"الثواني"؟ أليس من الأولى أن يكون الزمن الذي قد يفصل، في الخطاب، من ثانية إلى أخرى، المتواردات المتعاقبة للاسم نفسه؟ ولكن هل يكمن أثره في تغيير الأسماء؟ لعل الحل يتلخص في افتراض أن هذين التجليين من الزمن، المختلفين في الظاهر، يعدان في حقيقة الأمر تجليا واحدا. نصادف هنا المشكلة التي توضحها، في د.ل.ع، المقارنة التي غالبًا ما تمر دون أن ينتبه إليها أحد، لأنها تبدو مفارقة: بعد أن عرض للاختلاف بين الاستعمالات المتتالية لسادتي التي يعيدها المحاضر بطريقة يفصلها الواحد عن الآخر ببعض "الثواني"، يقارنها سوسير بتلك التي تلاحظ بين اللاتينية calidum (ساخن) والفرنسية chaud (ساخن) المفصولين بعشرين قرنا: "وليست المسألة الثانية في الحقيقة سوى امتداد للأولى وصورة متشعبة منها" (CLG: 250)⁽⁸⁾. وأضيف: إننا سنصادف مشكلة الزمن هذه في لحظات قليلة عن هذين النوعين الآخرين من العلامات، وهما الشخصية الأسطورية، وحرف الأبجدية.

يمثل عام 1904 لحظة مهمة في تأمل سوسير حول الخرافة. وفي 15 ديسمبر، يلقي أمام أعضاء جمعية التاريخ والأركيولوجيا بجونيف، محاضرة حول "البرغنديون واللغة البرغندية في البلد الرُوماني". إن معالجة بعض الطوبونيمات الفلدية ذات الأصل البرغندي فيما يبدو تسمح له بصياغة فرضية جريئة:

[إذا تم إقرار الأصل البرغندي لهذه الطوبونيمات]، يمكن
أن نتساءل عن الأثر الذي قد يكون لهلفيتيا Helvétie
البرغندية في نشأة الخرافة الملحمية للأقزام (نيبيلونجن)
ونشرها في (606: 184-1921).

يمكننا تلمّس ذلك في هذا الأثر الفريد الذي نُشر خلال حياته حول تأمله في الخرافة
الجيرمانية، حيث تطلع سوسير إلى أصلها المرجعي: فالأحداث المروية هي في الأصل مُسخرة
لتعيين أحداث حقيقية في بلد حقيقي، حتى وإن كانت المعطيات الطوبونيمية لا تسمح بتحديد
موقع هذا البلد على وجه اليقين. سنرى لاحقاً الارتباكات -النظرية وليست التاريخية- التي تُغرّق
سوسير في هذه الفرضية، والحل الجذري الذي يعطيه لهذه الصعوبة. ربما بدأ سوسير من
نفس سنة 1904 -ألقى خلالها درساً عاماً حول الملحمة الشعرية- في كتابة عدد من الصفحات
التي كرسها للبحث، ولا يقل عددها عن 820 حسب إحصاء فيهر (247 : 2000). حتى لو
طغت، كما توقعنا ذلك للتو، التحريات التاريخية والمعالجات الأسمائية، فإن السيميولوجيا
غالبًا ما تستحضر، كما سنرى في الاقتباسات التي سأعرضها أدناه.

لنختم على وقع هذه التفاصيل الكرونولوجية أن البحث السيميولوجي حول الخرافة
متداخل بشكل أساسي على الامتداد الزمني مع البحث اللساني.

وماذا عن العلاقة بين الباحثين المعاصرين كما يتجلى في المدونتين؟ يمكن أن نجيب
باختصار: إنها غير متناظرة بصورة كلية. نلاحظ بالفعل، ما لم نخطئ أو تخنا الذاكرة، أن
العمل على الخرافة لم يُعتمدُ أبدًا في د.ل.ع. لما يتعلق الأمر بالسيميولوجيا. يوافق سوسير
أحيانًا على ضرب أمثلة من "أنظمة العلامات" مستثنيا منها اللسان، وعلى هذا الأساس ينتقما
من القسمين الآتين:

أ) من جهة، الأنظمة المشتقة من اللسان، أو على أي حال معتبرة بهذه الصفة في أحد التصورين اللذين يحددهما سوسير تجاهها. وهما الكتابة وأبجدية الصم- البكم. ومن المعلوم -وسنرى هذه المسألة بصورة عابرة أدناه- أن هذا التصور ليس الوحيد في التأمل السوسيري.

ب) من جهة أخرى، الأنظمة المحلية على غرار الطقوس الرمزية، أشكال الآداب، والإشارات العسكرية. باستثناء التحفظ الوحيد عن هذه الأخيرة -على طبيعتها الدقيقة التي ليس من السهل البت فيها: رايات البحارة؟ أصوات الأبواق؟- يتعلق الأمر بالعلامات المعللة على الأقل جزئيا: رأينا أعلاه الاعتراض على انتمائها إلى السيميولوجيا.

ومهما يكن من أمر، لا يسعنا إلا أن نلاحظ فقر هذه الشروحات بالأمثال، ونندهش من أن سوسير في نفس اللحظة التي حاول فيها التأسيس للتحليل السيميولوجي للخرافة، لم يورد الخرافة -والميثولوجيا أيضا- في جرد "أنظمة العلامات".

تزداد الدهشة لما نلقي نظرة على الخرافة. نلاحظ بالفعل أنه في مقابل السكوت المسجل في د.ل.ع عن الخرافة، فإن اللسان مستحضر بصورة متواترة في التأملات المقترنة بالخرافة. هكذا، فإن اللسان، في العديد من المرات، معروض بصورة صريحة كموضوع للسيميولوجيا بحكم "قربته"⁽⁹⁾ مع الخرافة:

هذه الرموز⁽¹⁰⁾ [التي تشكل الخرافة] تخضع لنفس
التقلبات ونفس القوانين، على غرار مجموعات الرموز
الأخرى، نذكر على سبيل المثال الرموز المتمثلة في
كلمات اللسان. تندرج كلها ضمن السيميولوجيا

[LEG : 30, voir aussi 191-192 et 307-308]

كيف يُفسَّرُ هذا اللاتناظر بين الباحثين؟ كيف يمكن أن يعالج اللسان مثل الحكاية باعتبارها موضوعاً للسيميولوجيا بينما لا تحظى الخرافة، في الجهة الأخرى، حتى بالتسمية؟ يبدو أن لا جدوى من المسألة، والواقع أنني أشعر بالضعف حين أفكر في أنها ليست كذلك: ستسمح لنا بضبط ما يجمع بين الموضوعين وما يقابل بينهما.

لنعد لحظة إلى الطوبونيميا كما قدمها سوسير في محاضراته بتاريخ 1904. إن أسماء الأماكن البورغندية لمقاطعة فود Vaud والمناطق المجاورة تلمح إلى الأصل الجيرماني والحدثي لأغنية النيبيلانجن Nibelungenlied (وهي ملحمة شعرية ألمانية/ ويدل الاسم على الأقسام القاطنين بالعالم الأرضي/ أرض الضبابية/ المترجم). هذا الإلماح الذي تقدمه الطوبونيميا تم تناوله من جديد على سبيل فرضية عمل في نقاط عديدة من البحث، ولاسيما تلك اللحظة - من دون شك بنيتة منح شكل كتاب إلى عمله- التي فكر فيها سوسير في العنوان. هذا العنوان صريح إلى أقصى حد: تاريخ وخرافة. دراسة حول أصل التقاليد الجيرمانية المعروفة تحت اسم الملحمة البطولية (LEG : 183). يُلخَّصُ البرنامج الذي يحيل عليه هذا العنوان بطريقة لا تقل صراحة:

إن عنوان هذا المجلد يشير إلى أننا نفترض رابطاً تاريخياً بين الأحداث التي وقعت من 443 إلى 534 في المملكة التي أسسها البرغنديون بالسافوا Savoie تحت اسم المملكة البورغاندية الأولى. هذه فكرتنا بالفعل وقناعتنا. ليس الغوندشاريوس المتوفى عام 434، ولكن الغوندبادوس المتوفى عام 516 الذي سيمثل في رأينا جونتر المركزي، مفسر الملحمة البورغندية (LEG : 130).

لا يمكن أن يكون الأمر أوضح، لا سيما على ذكر الشخصية الخرافية جونتر Gunther: فهو يمثل -والفعل سيمثل الذي استعمله سوسير لم يأت أبدا من باب تخفيف الحذر - شخصية تاريخية تحمل بالفعل اسم الغونبادوس Gundobadus.

إن تعريف "الشخصية" بمرجعها الأصلي يفتقد إلى الأصالة الخصوصية في البحث عن الحقبة الخاصة التي تميزت بها الخرافة، ولكنه يثير بالفعل مشكلا خطيرا في إطار السيميولوجيا السوسيرية؛ لأن -لاحظنا ذلك للتو من خلال شاهد سابق- المنحى السيميولوجي للخرافة يأتيها من كون "الوحدات" التي تتضمنها، والمتمثلة في الشخوص هي مثل "كلمات اللسان"، و"الرموز"، ويعني بذلك "العلامات" إذا أخذنا في الحسبان تحول المصطلحية السوسيرية. ووراء هذه المشكلة المصطلحية، نرى الصعوبة، ف "كلمات اللسان" -بعبارة أخرى "العلامات" - لا تُحدد بالشيء الذي يمكن أن ترتبط به صدفة وقائع الكلام مؤقتًا، ولكن بالعلاقة بين الوجهين وهما، في إحدى المصطلحيات العديدة المتعاقبة لسوسير: "المفهوم"، و"الصورة الأكوستيكية". وهذا لا يصدق على شخصية الخرافة: إنها تُفسَّرُ بالعلاقة الأصلية لِاسْمِهَا مع الشخصية التاريخية التي عينتها أصلا. ندخل مع هذا الموضوع السيميولوجي ذي النوع الخاص في النظام الأدبي للتسمية. وهو نظام يُواجهُ، كما نعلم، بضراوة شديدة إلى حد ما في مختلف نقاط تأملات سوسير. هكذا، وفي إحدى "الملحوظات" (« Notes item ») نراه ينظر بازدراء إلى "أكثر الأشياء فجاجة في السيميولوجيا، وهي الحالة التي تكون فيها -من خلال صدفة تعيين الموضوعات- مجرد "أونيميا". ونعني بذلك العلاقة بين الشيء والاسم (Saussure, 1990 : II-36). ولكننا نلاحظ أن ازدراء الكاتب لهذه "الحالات الفجة" لا يؤدي في رأيه إلى إقصائها من السيميولوجيا، بل عزلها فقط في منطقة هامشية عن تلك، وهي "الأونيميا".

يبدو سوسير أكثر وضوحاً في فقرة من المصادر المخطوطة حيث يحتج صراحة، للطعن في موقفه بطبيعة الحال، بصورة "أبينا الأول آدم مناديا الحيوانات للاقتراب منه ومنح اسم لكل واحد منها" (Saussure 1989 : I-147-1); حذف الطبعة الموحدة أي إشارة إلى "أبينا آدم".

إجمالاً، فإن الوحدة السيميولوجية النوعية للخرافة تُقدِّمُ على سبيل ازدواجية الخصوصية ميزتين غير قابلتين للفصل، يمكن أن نُعيّنَ لها أصلاً، ويكون هذا الأصل مرجعياً. وبهذه الطريقة، تنحرف تماماً عن نظام العلامة اللسانية. حتى وإن كان لهذه الأخيرة بالفعل أصل، فإنها ذات طبيعة لا تسمح بطرح مسألة هذا الأصل. ومن بين فقرات أخرى عديدة، فإن الفقرة الشهيرة الواردة في الصفحة 105 من د.ل.ع وجذورها، الأكثر وضوحاً، مُبَيَّنَةٌ بالمقارنة مع مصدر الرن Rhône ، في المصادر المخطوطة على النحو الآتي:

إن مسألة أصل اللغات ليس لها الأهمية التي تُؤلى لها.
ولا وجود حتى لهذه المسألة. مسألة مصدر الرن: ساذجة!
وحتى لحظة النشأة نفسها، غير قابلة للإدراك: لا نراها
(Saussure 1989 : I-160).

ألاحظ بهذه المناسبة -أطالبكم بوضع الملحوظة في الذاكرة ترقباً لما هو آت- خصوصية موقف سوسير من هذه المسألة المقترنة بالأصل. والواقع أنه لا ينكر على اللغات أصلها: وقد يحدث له أن يستحضر، بشكل عابر، صحيح، الإنسان "المفتقد إلى اللغة الممفصلة" (Saussure 1990 : II-16). أو "من دون لغة" (II-4)، أو، بصورة أوضح، يفكر في "أول يوم تكلم المجتمع الإنساني" (II-10). ولكن لا ينبغي أن تؤخذ هذه اللحظة الأسطورية في الاعتبار، فمسألة أصل اللسان تتماهى مع تلك المتعلقة بالنقل (transmission) :

إن اللحظة التي نتفق فيها حول العلامات لا وجود لها حقيقة،

فهي مثالية فقط. ووجودها لا يدخل في الحساب إلى جانب

الحياة/العادية للسان (Saussure 1989 :I-160).

لقد فهمنا الأمر: إن رمز الخرافة، على النحو الذي تم تثبيته، لا يملك خاصيات العلامة اللسانية. ربما هذا ما يفسر، من وجهة نظر فيلولوجية، الصمت الملاحظ في دل.ع حول السيميولوجيا الخرافية: في الحالة التي لاحظناها للتو، فإنها منحرفة كلياً عن اللسانيات.

وليس هذا الصمت شيئاً آخر سوى القرينة النصية الملمّحة لوجود صعوبة نظرية كبيرة. وهي تكمن في تعايش وجهتي نظر متعارضتين تجاه العلاقات بين العلامات اللسانية وتلك المنتمية إلى أنظمة أخرى وتحديداً الخرافة.

من جهة، يتم ضرب العلامة اللسانية كمثال من ضمن أمثلة أخرى من نفس طبيعتها. إنها وجهة نظر متبناة، لا سيما في الفقرة الشهيرة من الصفحة 33 حيث تفترض القرابة بين اللسان وأنظمة العلامات الأخرى وهي، على سبيل المثال، الكتابة و"الإشارات العسكرية".

ولكن من جهة أخرى، تقدم العلامة اللسانية -يتم تصورها هنا أيضاً كوحدة مشكلة للسان- كموضوع متميز للغاية:

اللغة موضوع يقع خارج أي مقارنة، وهو غير مصنف في ذهن

اللسانيين ولا في ذهن الفلاسفة (Saussure1990 :II-41).

أو بتركيب أوضح:

لا وجود لموضوع قابل للمقارنة بالكامل مع اللسان

الذي يمثل كيانا أكثر تعقيداً، مما يجعل كل

المقارنات وكل الصور تفضي بانتظام إلى إعطائنا

فكرة خاطئة عنها من خلال بضع نقاط (Saussure 1990 :I-6).

إن هذه الأزواجية في وجهات النظر حيال العلامة يعقّبها تباين عايناه أعلاه مقترنا بالصفحة 34 من الد.ل.ع حول مسألة العلاقات بين اللسانيات والسيمولوجيا. ليس من المستغرب أن نلاحظ هنا ظاهرة اللاتماثل. وعليه، لقد تم الاعتراض على فعالية السيمولوجيا تجاه اللسان في نقاط عديدة. صادفنا واحدة منها أعلاه. إن التفاؤل المؤقت والمعتدل جدا- الذي بدا مهيمنًا في الد.ل.ع تلاشى. لكن، وبصورة عكسية، يبدو أن فعالية اللسانيات حيال أنظمة العلامات الأخرى لم يطعن فيها بجدية في أي لحظة. ظلت السيمولوجيا عديمة الفعالية تجاه العلامة اللسانية، بينما احتفظت اللسانيات بقوة مفعولها قبالة أنظمة العلامات الأخرى.

لم ننته تماما من التمهّان بعد سوسير في الدائرة المزعجة للعلاقات بين اللسانيات والسيمولوجيا. بعد أن فسرنا سكوت الد.ل.ع عن الخرافة، يتعين علينا الآن إبراز حضور اللسان في البحث حول السيمولوجيا الخرافية. وهذا ما قد لاحظناه بالفعل، ومن الواضح أن هذا الحضور صريح ومكرور ويمثل مشكلة حقيقية: كيف يمكن مقارنة، بل تنزيل "رموز الخرافة" منزلة "كلمات اللسان" -سنكون قد تعرفنا على المصطلحات المستخدمة في شطر من الخرافة المذكور أعلاه- لو كانت مختلفة عن بعضها البعض إلى هذا الحد؟ فالإجابة هي في أن واحد بسيطة ومفارقة: ولسوسير في مخزونه مفهوم آخر للشخصية، باعتباره رمز الخرافة؛ مما يجعله منه بالفعل علامة لسانية مزدوجة. وإذا تذكرنا التصور الأول للرمز، فسندرك أن المقاربة الثانية للشخصية تتمثل في فصلها، بالحركة نفسها، عن أصلها ومرجعها.

كيف أقيم هذا التصور الجديد؟ دعونا نكشف عنه بضرب المثال الآتي: نتذكر أن جونتر Gunther، في النص المحال عليه أعلاه، تم عرضه عن "قناعة" بتحديدته من خلال هويته مع الشخصية التاريخية المسماة غوندوبدوس Gundobadus. لنتناول الآن شخصية

أخرى من الخرافة، ولتكن، على سبيل المثال، هوجديتريش Hugdietrich المعروف أيضا باسم وولفديتريش Wolfdietrich-إن ازدواجية الاسم مهمة. هل هو على قدم المساواة مع جونتر المحدد بتمائله مع الشخصية التاريخية على أنها بالفعل تيودريك Théodéric الحقيقي؟ بكل تأكيد لا. بل إن سوسير ذهب إلى حد السخرية من أحد المفسرين-المدعو سيمونس Symons- الذي ينحو هذا النحو في التخمين. يستشهد به ويعلق عليه بهذه العبارات:

أن يكون وولف [هوج] دييتريش تيودوريك بن
كلوفيس Clovis لا نزاع فيه ولا جدال...، سيمونس.
هذه الجملة كافية لجعلك حائماً أولاً وقبل كل شيء لأننا
لا نعلم من وجهة نظر منهجية ما قد تدل عليه في مجال
الدراسات الأسطورية (LEG 191).

أقاطع الاقتباس لحظة لإتاحة الفرصة لأولئك الراغبين في الاعتراض على التناقض، ولأعطي الانطباع بأنني أدافع عن سوسير. لا، لا وجود للتناقض. أوضِّح. أنا لست أحد أولئك - وهم موجودون- الذين ينكرون تماماً وجود تناقضات في تفكير سوسير. توجد تناقضات عند سوسير: فهي تشير إلى عدد من العقد المستعصية في تأمله، وربما في أي تأمل لساني و/أو سيميائي. ولكن هنا، لا وجود لها. لا يمكن الطعن في تشبيهه [هوج] دييتريش بـ تيودوريك. وقد يكون صحيحاً: على أي حال، لا يكلف سوسير نفسه عناء قول ما إذا كان مخطئاً. حتى أن بعض مقاطع البحث تشير إلى أنه يعتبرها صحيحة. وفي الواقع، سواء كانت صحيحة أم خاطئة، فإنها تفتقد تماماً إلى الفعالية تجاه الوضع السيميولوجي الحقيقي لهذا "الرمز" المتمثل في شخصية [هوج] دييتريش، إذ ينبغي أن يسند لها الاسمان. وما هو هذا الوضع؟ يتعين علينا في هذا السياق أن نتناول من جديد نص سوسير في النقطة التي توقفنا عندها:

صحيح أن ذهابنا إلى عمق الأشياء يجعلنا ندرك، في هذا

المجال على غرار المجال القريب من اللسانيات، أن جميع
تناقضات الفكر آتية من قصور التأمل في ماهية الهوية
لما يتعلق الأمر بكائن غير موجود كالكلمة، أو الشخصية
الأسطورية، أو حرف من الأبجدية؛ باعتبارها فقط أشكالاً
مختلفة لعلامة في المعنى الفلسفي (LEG:191).

نجد أنفسنا هنا في مواجهة المفهوم المثير - المتناقض في الظاهر، وهذا ما يتعين علينا
الاعتراف به - لعل "الكائن العديم الوجود" (11). ماذا نعني به؟ وكيف ينطبق على هذه الأشكال
الثلاثة "المختلفة" لعل "علامات" وهي الكلمة، والشخصية الأسطورية - وبالعودة إلى جرد
العلامات - حرف الأبجدية؟ وهذا الأخير هو المتخذ كثلث مقارن tertium comparationis بين
اللسان والخرافة. وهذه المقارنة هي التي تسمح بمقاربة المفهوم المثير للجدل لعل "الكائن العديم
الوجود":

من الواضح أن حرفاً من الأبجدية، على سبيل المثال، حرف من الأبجدية الرونية
الجرمانية، لا يملك، منذ البداية، أي هوية باستثناء تلك الناجمة عن ترابط:

أ. قيمة صوتية معينة،

ب. شكل خطي محدد،

ج. يجمع بين الاسم والكنية اللتين يمكن أن تسندا له،

د. من مكانته (رقمه) في الأبجدية.

وإذا تغير اثنان أو ثلاثة من هذه العناصر، كما يحدث
في أي لحظة، وبسرعة أكبر حيث يؤدي في الغالب
تغيير إلى تغيير آخر، فإننا لم نعد نعرف حرفياً ومادياً دلالاته،

أو بالأحرى [...] (LEG : 191).

في البداية، سنختصر الحديث في نقطتين لنفسر عودة الكتابة وتحديدًا الأبجدية الرونية في جرد موضوعات السيميولوجيا. يتم تصور الكتابة هنا وفق نموذج يجعل منها مُعَيَّنَةً ليس للسان، بل لنظام علامات مُشْتَعِلٍ اشْتغَالًا كاملاً. في الـ د.ل.ع ، فإن هذا النظام هو المستعمل، ص. 165، لإبراز -من خلال تحليل الحرف T ومختلف بدائله- مفهوم القيمة الذي يؤثر أيضا في اللسان. وبالطريقة نفسها، تستعمل الكتابة هنا لإعطاء مثال ملموس عن المعطيات التي، في تناولها سمات أقل بروزا، تؤثر أيضا في السيميولوجيا الخرافية. أما عن اختيار الأبجدية، فهو مُحدد بشكل تضافري. من جهة، إنها كتابة جيرمانية مستعملة فعلا في بعض الروايات الإسكندنافية لِأغنية النيبيلانجن Nibelungenlied⁽¹²⁾. ومن جهة أخرى، فإن الأبجدية الرونية كانت، في تاريخها، موضوع تحولات متواترة نهضت بالفعل على عدد الحروف (24، ثم 16، ثم 23)، وبالضرورة على ترتيبها، وأسمائها، وأشكالها⁽¹³⁾. وقد كانت هذه التحولات سريعة نسبيا: لا تزيد عن ثلاثة قرون ونصف، حسب مارسيل كوهين Marcel Cohen (197: 1958)، تغطي جميع التعديلات المزعومة.

وعلى نحو ما يتبين من تحليل سوسير؛ فإن العلامة المتمثلة في الحرف لا تملك وجودا جوهريا. من هذه الزاوية نعتت بـ "الكائن العديم الوجود". إذ، على عكس ما يدعيه آفال Avalle (43: 1973)، فإن هذا لا يمنعها من الوجود. ولكنها لا ترقى إلى وضعها إلا في حدود ترابطها مع عدد من السمات. ويظل هذا الارتباط مهددًا في أي لحظة بالتفكك. ومع ذلك، فإنه يعيد تشكيل نفسه في أي لحظة بتغيير سمات تجمعه. يكفي أن يتغير حرف ليفقد هويته ويأخذ هوية أخرى. فالحرف لا يكون أبدا مطابقا لنفسه. وهذا يصدق على العلامة الأخرى -أو

الرمز: نتذكر في هذا السياق أن المصطلحين متكافئان- المتمثلة في شخصية الخرافة المتشكلة أيضا بالترابط في أي لحظة متغيرة مع بعض السمات:

[...] كل شخصية من شخصيات الخرافة رمز، حيث يمكن.
أن نغير -تمامًا كما هو الحال بالنسبة للرون- (أ) الاسم،
(ب) الوضعية حيال الشخصيات الأخرى، (ج) الطبع، (د) الوظيفة
والأعمال. وإذا تم تغيير اسم، يمكن أن ينجم عنه تغيير قسم
من الأعمال، وبالمثل، أو يصدر عنه تغيير المأساة برمتها من خلال.
عارض من هذا النوع (LEG: 31).

يختلف جرد "العناصر" هذا اختلافا طفيفا أثناء البحث. ويضيف له سوسير أحيانا
"الشعار" (LEG: 194)، بل وحتى "الخوذة" (LEG: 195). وإذا لم أكن مخطئًا، يتم دائما
الاستشهاد بالاسم في المقام الأول، وهذا بخلاف ما يحدث للحرف. وينطوي على وضع محدد
للشخصية الخرافية:

ليس (الاسم) كما هو الحال عند الفرد الحي بطاقة على الشخص،
ولكنه يقع في نفس مستوى الأشياء الأخرى، ومن وجهة النظر هذه
الأكثر أهمية، فإن الطبائع الأخرى للفرد لا تنفصل عنه [...].
بينما قد تتبدد أي سمة من سمات الكائن الخرافي لأول وهلة
بنفس السهولة على غرار اسمه (LEG: 142).

هكذا، فإن العلامات المتمثلة في شخصيات الخرافة -والحروف في ظل ظروف مختلفة
قليلاً- لا تملك أبدًا أي واقع مادي، فكينونتها في الأساس عابرة وغير مستقرة. "أشباح"،
"فقاعات صابون"، لا شيء من هذا؛ لأن فقاعة الصابون "لديها على الأقل وحدتها الفيزيائية
والرياضية" (LEG: 192). لا تتكون العلامة من أي شيء؛ فهي مرتبنة في وجودها فقط إلى لقاءها

المؤقت والعرضي ببضعة سمات محكوم عليها بالتفكك في أي لحظة، ولكن لتشكيل علامة أخرى دون إبطاء.

ولهذا، يتعين اتخاذ إجراء احترازي. ف"الزمن" الضروري لكل هذه التحويلات التي تمس العلامة -كيف يمكن تصور التحويل خارج الزمن؟- ليس هو السبب الواقف وراء كل ذلك: كما يمكن أن نرى في الحقيقة، فإن الافتقار إلى القدرة على الحفاظ على هوية معينة لا يجب أن ننسبه إلى آثار الزمن -وهذا هو الخطأ الملحوظ الذي ارتكبه أولئك المهتمون بالعلامات- ولكنه مترسب سلفا في الكائن الذي نرعاه ونلاحظه كعضوية، بالرغم من أنه مجرد مزيج عابر من فكرتين أو ثلاث فِكر (LEG: 192).

وهذا "الكائن العديم الوجود"، و"فقاعة الصابون" هذه، وهذا "الشبح" هو، مفارقة جديدة، موضوع الحب. لا أعتقد أنني سأدفع بالتفكير إلى أبعد ما ذهب إليه سوسير باستخدامي هذه الكلمة التي لم يستعملها. سأقتصر على أفعال مثل: «choyer» «رعى»، الملاحظ في المقطع السابق، أو "أعز" «chérir»:

إن المزيج (بمعنى الربط) الذي نعزه أحيانا

ليس إلا فقاعة صابون (LEG:192).

لم ننته بعد مع المفارقات المتصلة بالعلامة في الخرافة؛ فهذا الكائن "العديم الوجود" و"المعزز" في آن واحد قد ينتهي به الأمر إلى إقرار نوع من الحياة، والوعي أيضا، وحتى التأمل. وهذا ما يتجلى في نقاط عديدة ببعض تفاصيل التعبير في جمل تبدو، في الحقيقة، سلبية، هكذا، فإن الرمز "لا يشك" في انتمائه إلى السيميولوجيا (LEG: 30)، أو "لا يملك وسيلة تثبت أنه لم يتغير" (LEG: 192). وماذا عن هذه الظواهر الغريبة المتصلة بتشخيص الرمز في كتابة

سوسير؟ أليست دليلاً على الرغبة في الجوهر، بل في الجوهر المُفكّر، لهذا "الكائن العديم الموجود"؟ أترك السؤال معلّقاً بشيء من الحذر.

وماذا عن النوع الثالث من العلامة الآن، أعني به اللسان؟ في البحث، إذا قرأت بشكل سليم، تمّ فقط الاحتجاج به دون أن يُحلّل. وملاحظة وضعه، ينبغي أن نقارن بين النصين المتباعدين للغاية عبر الزمن. الأول، مقتبس من البحث حول الخرافة، يتطلع إلى تصور بتفاوت معتدل - من المعلوم أن سوسير نادراً ما يعبر عن حالة اغتباطية - مهمة وصف مجموع التحولات التي من المحتمل أن تؤثر على علامة الخرافة:

لذلك ينبغي، من حيث المبدأ، أن نتخلى تماماً عن المتابعة، لتعذر احتساب مجموع التعديلات (LEG: 31).

في 1894، وفي مشروع المقالة الخاصة بويتناي Whitney، قام سوسير بتشخيص متطابق حرفياً مع اللغة:

ما غاب هنا عن الفلاسفة والمنطقيين، هو أنه مادام
نظام الرموز مستقلاً عن الموضوعات المعينة،
فسيظل، بفعل الزمن، عرضة لتنقلات غير قابلة
للاحتساب في رأي المنطقي (Saussure 1990: I-23).

هكذا تقدم التعديلات التي تطرأ على العلامات اللسانية والعلامات الخرافية من حيث "افتقادها إلى الإحصاء"؛ ما يعني أن هذه وتلك تملك نفس الخاصيات. إذ ليس من المستغرب أن نرى أن العلامات مؤهلة لا لأن تكون "كائنات عديمة الوجود" بل -وهي في رأي متكافئة- لأن تعد "مصطلحات لا معنى لها في حد ذاتها"، ونلقى هذا التأهيل ضمن واحدة من "الملحوظات

الإضافية" [«Notes item» ملحوظات متصلة بالدرس الذي قدمه سوسير في 1904 والمخصص أساسًا للملحمة الشعرية الجيرمانية/ المترجم] ووفق ظروف هي بالفعل مثيرة للدهشة:

إضافية. هناك نقص في المماثلة بين اللسان وأي شيء إنساني آخر لاعتبارين: (1) العجز الداخلي للعلامة، (2) قدرة فكرنا على الارتباط بمصطلح هو في حد ذاته منعدم (Saussure 1990: I-23).

ويواصل سوسير بحالة من الشعور بالندم المثير، والمقوس، والغامض:

(لكن لم أقصد قول هذا في البداية. لقد انحرفت) [المرجع ذاته].

يجب الاعتراف بأن هذا النص هو حرفيًا متأهياً. يسند سوسير للعلامة اللسانية وضعا مطابقا لما ينهض عليه الرمز؛ إذ من الصعب معرفة الاختلاف الذي يمكن أن ينشأ بين العبارتين: "كائن عديم الوجود" بالنسبة إلى الخرافة، و"مصطلح في حد ذاته منعدم" بخصوص العلامة اللسانية. لا سيما أنه لم يُقَصِّرْ في الإشارة إلى "الارتباط" المفارق الذي يحمله العقل للعلامة، إنها المتكافئة الدقيقة لميله العاطفي إلى الرمز الخرافي. وفي هذه اللحظة بالذات يطرح الوحدة المطلقة للسان، غافلا في ذلك تمامًا عن الأسطورة على غرار الكتابة أيضا. هل يجب أن نحاول التعلق بحالة الشعور بالندم على الأقواس والتكهن بما كان سوسير ينوي كتابته قبل، كما يقول، أن ينحرف؟ ربما يكون التكهن مثيرا للجدل بعض الشيء؛ ولهذا يفضل التفكير في حل آخر، والتطلع إلى تحفيز التأمل السوسيري الذي بقي صامتا حول هذه النقطة، أو ضمناً على الأقل. سأغامر في هذا الاتجاه. رأينا في وقت سابق أن سوسير اعتبر التعديلات الممتدة في زمن الرمز الخرافي على غرار العلامة اللسانية "غير قابلة للإحصاء". غير

قابلة للإحصاء"؟ بكل تأكيد. ولكن ليس بنفس الدرجة. وبخصوص الرمز الخرافي، فإن سوسير في انتفاضته التفاضلية الإبيستيمولوجية الأخيرة ينتهي به الأمر إلى الاعتراف بأن كل الأمور قد تم وضعها في الاعتبار، ومن ثم، "يمكننا أن نأمل نسبياً في المتابعة حتى في فترات زمنية ومسافة كبيرة" (LEG: 31). بالنسبة للعلامة اللسانية، لا شيء من هذا القبيل؛ إن انعدام قابلية إحصاء "التنقلات" تظل مطلقة. لماذا هذا الاختلاف؟ هل يرجع إلى عدد العناصر التي يشكل جمعها الطارئ والمؤقت في كل مرة الرمز على غرار العلامة؟ لا؛ لأن هذه "العناصر" متكافئة تقريباً في العدد ومحدودة نسبياً⁽¹⁴⁾. لا يمكن أن يعود الاختلاف سوى إلى سمة احتج بها سوسير من طرف خفي، وهي سمة مقترنة بأحد الموضوعين المقارنين: عدد العلامات نفسه؛ لأنه في الخرافة -كما في الأبجدية ووفق ظروف مختلفة- محدود: عشرون علامة للأبجدية، وتفوقها الخرافة نسبياً إذا أخذنا في الاعتبار دورة النصوص. ربما لا نصل إلى مائة، ولكن بالنسبة إلى اللسان، فإن عدد العلامات غير محدود، لا سيما إذا فسحت كل علامة من هذه العلامات المجال يوميا لآلاف الاستعمالات دون انقطاع. أقتبس عن سوسير للمرة الأخيرة:

يجب أن نضيف أن هذا الشيء [اللسان] لا يمكن أن ينقطع
حتى في غضون 24 ساعة، ويتم إعادة إصدار كل عنصر آلاف
المرات في هذا الوقت (Saussure 1990: I-21).

إن هذا التعدد، تحديداً، الذي لا يحصى من العلامات، ولا سيما استعمالات كل واحدة منها، هو الذي يجعلها في جميع اللحظات -"من ثانية إلى ثانية"، عبارة تناولناها من جديد استعملت بشأن اسم الآلهة- جديدة بالخضوع للتنقلات والتحويلات. لا شيء من هذا القبيل بخصوص الخرافة، التي تنتقل أيضاً على امتداد الزمن، ولكن رموزها المحدودة، تفسح المجال لعدد من التحويلات القابلة إجمالاً للإحصاء.

*

أدرك، في نهاية هذا العرض، أنني قد تعاطيت بشكل مفرط مع الفيلولوجيا السويسرية. اضطررت للقيام بذلك لاعتبار يعود إلى طبيعة شكل النص السويسري. وسيظل فكر سوسير - وبكل تأكيد، سيظل نهائيًا- في طور البلورة والتحول، وربما يكون، من هذه الزاوية، صورة للمسائل التي يعالجها، تلك المرتبطة بالعلاقات بين اللسانيات والسيمولوجيا.

الهوامش والإحالات:

(1) هذا النص مأخوذ من المرجع الإلكتروني الآتي:

Michel Arrivé, « La sémiologie saussurienne, entre le CLG et la recherche sur la légende »,

Linxen[en ligne], 44 | 2001, mise en ligne le 5 juillet 2012, consulté le 1 avril 2020.

URL : <http://journals.Openedition.org/linx/1015> ; DOI : 10.4000/linx.1015

(2) سنحيل على عنوان كتاب دي سوسير: دروس في اللسانيات العامة بالرمز الآتي: دل.ع

(3) من الآن فصاعدا نرزم إلى البحث حول الخرافة بر.خ.رف. اعتمد ميشيل أرفيه طبعة مارينيتيه

Marinetti وميليه 1986 Meli، واختزل البحث حول الخرافة في الرمز الآتي: LEG

(4) كان يعرف هذه المسألة معرفة جيدة لا سيما من خلال منشورات أخيه ريني René، رئيس الجمعية

الإسبيرانتية السويسرية، وصاحب العديد من الأعمال حول الإسبيرانتو.

(5) للاطلاع على القائمة الحصرية المتضمنة الإشارة إلى السيمولوجيا (والسينولوجيا signologie، وهو

مصطلح استعمله سوسير من قبل) ينظر: إنجلر 1980 Engler.

(6) إن المعنى الذي يجب إعطاؤه لـ مع Avec ليس واضحا. أعتقد أنه ليس أداتيا (في "استعمال اللسان")، بل

مصاحبا ("يرافق اللسان").

(7) غالبا ما لاحظنا باستغراب أن الحديث في 1920، وفي الطبعة الثالثة من كتابه -التصنيف الجديد

تَقَدَّمَهُ، في 1888، تصنيفُ العلو- لم يَجْرِ على الإطلاق حول السيمولوجيا. ظهرت الدروس بكل تأكيد

- عام 1920، وكانت معروفة معرفة جيدة بجونيف. ظلت السيميولوجيا في سبات لسنوات عديدة، ولا تزال، وربما هذا النوم هو الذي يفسر صمت نافيل.
- (8) نلاحظ أن سوسير في المصادر المخطوطة لم يحتج بالمثل عن الكلمة سادتي، بل اقتصر على كلمة حرب (Saussure 1989: I-244) ثم التعاقب (I-414) alka-ok.
- (9) وقد تم التعليل بهذه "القرابة" صراحة، على سبيل المثال في المقطع الآتي: "نلاحظ في هذا المجال على غرار المجال القريب من اللسانيات أن كل اضطرابات الفكر آتية من قصور التفكير في ماهية الهوية" (LEG: 191).
- (10) هل من المفيد ضبط الكلمة رمز بالمعنى الذي تحمله العلامة في دل.ع، كما يثبت استعماله لتعيين "كلمات اللسان"؟ إن الابتكار المتمثل في تخصيص مصطلح الرمز لهذا الموضوع المتناقض - وهو أمر مستحيل في اللسان - الممثل للعلامة المعللة، خاص ب دل.ع. في 1894، وفي المشروع المقترن بويتناي Whitney، يستعمل سوسير مصطلحات رمز اصطلاحية ورمز مستقل بالمعنى الذي يعطيه في دل.ع للعلامة الاعتبائية (Saussure 1989: I-23).
- (11) يميل المرء إلى التفكير في الباتافيزيقا التي، وفقاً للقول المأثور للدكتور إيريني لويز ساندمير، تغدو في غنى عن أن تكون، ولتكون، فإنها لا تحتاج حتى إلى أن تكون (Sandomir, LXXXVI, p.151). ونفكر أيضا في الإنكار اللاكاني "لا وجود لميتالغة" (Lacan 1966, Passim)، الذي يفترض صياغة الكائن نفسه الذي ينكره. من الواضح أن "الكائن العديم الوجود" قد أزعج العديد من المعلقين، بدءاً من آفال، وإنجله، وفيمر.
- (12) يلمح سوسير إلى هذا الاستخدام للرونية من منظور يستحضر مشكلة الجناس التصحيفي، التي لا تغيب ممارستها عن البحث حول الخرافة (LEG: 326).
- (13) ينظر : 195-198 : Cohen 1958. غير أن المعلومات التي وفرها سوسير (ص. 30-31 من الخرافة: LEG) حول الرونية "المسماة صوفيا زان Zann" لم يؤكداه كوهين. يتعين البحث عن المصادر التي استعملها سوسير لصياغة ملاحظاته حول الأبجدية الرونية.
- (14) ألقينا نظرة على ماهية الشخصية الخرافية كما هو الحال بالنسبة للحرف. بالنسبة للعلامة اللسانية، بدا سوسير ضمنيًا. حاول إنجلر (71: 1975-1974) اللجوء إلى التصريح، مع النتائج المحتملة، ولا شيء غير هذا: تمكن من تعداد أربعة عناصر (المدلول، الدال، "الدلالة السياقية" [وضع مؤسس على الترابطات

الاستبدالية]. العدد هو نفسه المنسوب للحرف (أربعة) والقريب جدا مما هو مسند للشخصية (من أربعة إلى ستة تبعاً للمقاطع).

قائمة المصادر والمراجع:

1. Arrivé, M. 1998 : « Unité linguistique et unité sémiologique chez Ferdinand de Saussure », in Quiroz G., Berthoud-Papandropoulo I, Thommen É, et Vogel C.(eds), Les unités discursives dans l'analyse sémiotique, Peter Lang, p.11-21.
2. -2000a, « Saussure, Barthes, Greimas », Modèles linguistiques, Tome XXI, fascicule 1, p.19-37.
3. -2000b : « Préface mêlée de souvenirs sur la préhistoire de la sémiotique » in Greimas, AJ., La mode en 1830, Paris, P.U.F., p.XI-XXV.
4. Avalu S. d'Arco 1973 : « La sémiologie de la narrativité chez Saussure », in Bouazis Ch.(éd), Essais de la théorie du texte, Paris, éditions Galilée, p19-49.
5. CLG : voir Saussure 1916-1922-1985.
6. Cohen M. 1958: La grande invention de l'écriture, Paris, Imprimerie Nationale de Klincksieck.
7. Engler R. 1974-1975 : « Sémiologies saussuriennes I », Cahiers Ferdinand de Saussure 29, p.45-73.
8. -1980 : « Sémiologies saussuriennes II », Cahiers Ferdinand de Saussure 34, p.1-16.
9. Fehr J. Saussure linguistique et sémiologie, Paris, P.U.F.
10. Gandon F. 2002 : De dangereux édifices, Saussure lecteur de Lucrèce, à paraître.
11. Kim S. 1993 : « La mythologie saussurienne : une nouvelle vision sémiologique ? (A propos de la continuité de la pensée saussurienne) », Semiotica, 97, 1/2, p.5-78.
12. Lacan J. 1966 : Ecrits, Paris, Le Seuil.
13. LEG : voir Saussure 1986.
14. Naville A. 1901-1991 : Nouvelle classification des sciences, Paris, Félix Alcan, puis Didier Erudition.
15. Normand Cl. 2000 : Saussure, Paris, Les Belles Lettres.
16. Sandomir Dr I.L. LXXXVI E [re] P[ataphysique] : Opus pataphysicum, Testament de sa Feu Magnificence le Docteur I. Sandomir, de son vivant Vice-Curateur Fondateur du Collège de 'Pataphysique, Collège de 'Pataphysique.
17. Saussure, F. de, 1916-1922-1985[CLG] : Cours de linguistique générale, Lausanne- Paris, puis Paris, Payot.

18. -1922-1984: Recueil de publications scientifiques, Genève, Sonor et Lausanne, Payot, puis Paris-Genève, Slatkine.
19. -1986[LEG]: Le leggende germaniche, scritti scelti e annotate a cura di anna Marinetti e Marcello Meli, Este(Padova), libreria editrice Ziello.
20. -1989 : Cours de linguistique générale, Edition critique par Rudolf Engler, tome 1, Wiesbaden, Harrossowitz.
21. -1990 : Cours de linguistique générale, Edition critique par Rudolf Engler, tome 2, Wiesbaden, Harrossowitz.



استقرار المصطلح النَّحوي في كِتَابِ سِيَبَوِيهِ الخبرُ أنموذجًا

فؤاد مهيبوب عبده المخلافي*

alttumoh2010@hotmail.com

* طالب دكتوراه في اللُّغة والنَّحو - قسم اللُّغة العربيّة - جامعة الملك سعود- الرياض - المملكة العربية السعودية.